

مسجد عقبة بن نافع بالجزائر .. شاهد على الفتوحات الإسلامية

تعتبر الجزائر من الدول العربية التي لها خصوصيات تميزها كثيرا في هويتها، فهي دولة مسلمة وعربية وأمازيغية، وبقي عديد من المعالم الدينية والتاريخية شاهدة على حقيقة الهوية الجزائرية. ومن بين تلك الشواهد التي بقيت شامخة إلى يومنا هذا، مسجد “عقبة بن نافع” بمدينة “سيدي عقبة” التي تبعد عن ولاية “بسكرة” الواقعة في الجنوب الشرقي من الجزائر بحوالي 20 كلم، وهو المسجد الذي عشقه العلامة “ابن خلدون” وقال فيه “إنه أشرف مزار في بقاع الأرض لما توفر فيه من عدد الشهداء والصحابة التابعين”.

وبحسب الدراسات التاريخية فإن مسجد “عقبة بن نافع” يعد “ثالث أقدم المساجد في المغرب العربي” بعد مسجد القيروان في تونس ومسجد “أبو المهاجر دينار” في مدينة “ميلة” الجزائرية.

تاريخ المسجد

اختار أهل المدينة أن يكون اسم المسجد لأحد أبرز قادة الفتح الإسلامي وفتح أفريقيا منذ القرن 41 الهجري وهو “الفهري عقبة بن نافع” الذي استشهد عام 63 هجري (682 ميلادي) برفقة “المهاجر أبو دينار” مع 300 من خيرة جيشه، في معركة “ممس” مع أتباع الروم الوثنيين، ليدفن الشهيد عقبة بن نافع بمكان استشهاده.

وشيد الأهالي مسجداً له وكان ذلك ما بين عامي 63 هجري و 66 هجري، في حين ترى روايات أخرى أنه لا توجد أدلة تاريخية دقيقة عن تاريخ تشييده.

وذهبت بعضها للقول إن التّاجين من معركة “ممس” هم الذين شيّدوا المسجد بعد سنوات من المكوث في تونس، حيث أرسلهم حاكم قفصة التونسية إلى خليفة “عقبة بن نافع” وهو “زهير بن قيس” ليشيدوا مسجداً باسم القائد عقبة بن نافع.

كما استمدت المدينة الحالية اسمها من الفاتح الفهري عقبة بن نافع، ويطلق عليها اليوم مدينة “سيدي عقبة”، لتتوسع المدينة بعد بناء المسجد إلى منازل وحارات كبرى، وأصبحت من أشهر المدن التاريخية في الجزائر، بعد أن كانت تسمى “تهودة”.

تهودة..ابن خلدون واستشهاد “عقبة”؟

تهودة، هي بلدة رومانية بربرية في مقاطعة موريطانية القيصرية، ومدينة رئيسية في الإمبراطوريات الرومانية والبيزنطية والوندالية، ويمكن التعرف عليها من الآثار الحجرية في الواحة المجاورة لقرية سيدي عقبة، الجزائر حاليًا.

هي من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة، وهي مدينة أولية بنيانها بالحجر الجليل وعليها سور عظيم، ولها ربح ويدرور بجميعها خندق، ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل أوراس، فإذا كان بينهم وبين أحد حرب وخافوا النزول عليهم أجروا ماء ذلك النهر في الخندق المحيط ببلدهم فامتنعوا به وشربوا منه، وهي كثيرة البساتين والنخيل والزروع وجميع الثمار.

وذكرت أغلب المصادر أن المكان الذي قُتل فيه عقبة ورفاقه هو بلدة “تهودة” من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة، وسمّيت المنطقة المجاورة لتهودة بـ “سيدي عقبة”، ويقع اليوم مسجد وضريح يُنسب لعقبة بن نافع في مسجد “عقبة بن نافع” بمدينة سيدي عقبة التي تبعد عن مدينة بسكرة بحوالي 20 كلم، وهو المسجد ذكره ابن خلدون وقال فيه: “إنه أشرف مزار في بقاع الأرض لما توفر فيه من عدد الشهداء والصحابة **التابعين**”. ويعد ثالث أقدم المساجد في المغرب العربي بعد مسجد القيروان ومسجد أبي المهاجر دينار.

شكل المسجد

مسجد عقبة بن نافع في الجزائر من التحف المعمارية النادرة بطراز الهندسة الإسلامية الراقية، فهو يشبه إلى حد كبير المساجد التاريخية الشهيرة في العالم والقصور الأندلسية الفخمة.

- هندسة المسجد من الداخل

كان المسجد في بداياته يتكون من قاعة صلاة صغيرة مشكلة من أقواس بُنيت بشجر “العرعار” وخشب النخيل المدعومة بحجر ومواد أخرى مثل الكلس الجيري والطوب.

وخضع المسجد لعدد من الترميمات بدءًا من القرن الـ 14 الهجري، وأول ما تم ترميمه المحراب ثم الصومعة وخلفية المسجد، ووضعت في أسقفه فوانيس عتيقة، ثم جاءت عمليات تزيين المسجد، حيث صبغ المحراب والقبة باللونين الأخضر والأحمر، وبقي المنبر ذات الباب الخشبي منحوتاً بأشكال هندسية متقنة.

- قاعة الصلاة

قاعة الصلاة تظهر بشكل غير منظم، ويبلغ طولها 23 متراً وعرضها 22 متراً، أما عرض البلاطة الواحدة فيصل إلى 2.40 متراً.

- مأذنة المسجد

أما مأذنة المسجد ورغم أنها من أقدم المآذن في المغرب العربي، إلا أنها بقيت محافظة على تماسكها، وهي من أنماط المآذن الهرمية ذات القاعدة المربعة، ويبلغ ارتفاعها 16 متراً، وتتكون من طابق واحد ارتفاعه 14 متراً.

- باب المسجد

باب مسجد عقبة بن نافع، تحفة فنية متقنة أيضاً بأشكال "أرابيسكية"، ومصنوع من خشب "السدر" ومرصع بدبابيس برونزية، إذ يبلغ عرضه 1.4 متر وارتفاعه 2.7 متر وسمكه 40 سم، وذكرت دراسات تاريخية جزائرية أن الباب جاء هدية من أمير القيروان "عبد المعز بن باديس الصنهاجي".

- منمنمات المسجد

ومن المعالم التي تؤكد قوة الهندسة المعمارية الإسلامية توجد نوافذ المسجد، التي زُينت بأشكال ومنمنمات فاخرة. كما يوجد بالمسجد غرف قديمة خصصت قديماً لإقامة الطلبة القادمين من مناطق بعيدة ومجاورة، من بينها الأوراس وقسنطينة في الجزائر ومن تونس، حيث كان المسجد قبلة للطلبة الذين يتعلمون **القرآن الكريم** وعلوم الشريعة على الطريقة المالكية.